بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 11 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:23\11\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال في الآية الثالثة: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.

في آخر الدرس الماضي تكلمنا بصورة إجمالية عن المقصود من هذه الآية المباركة.

نتكلم عنها بشيء من التفصيل:

المطلب الأول: هذه الآية المباركة -كما هو واضح- صدّرت بحرف تأكيد ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ﴾. قد يسأل عن وجه هذا التأكيد، ويمكن بجوابين:

الجواب الأول: أن التأكيد في هذه الآية لإيجاد مشاكلة مع الآية السابقة؛ لأن الآية السابقة تصدرت ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسان﴾ ليس له نكتة معنوية، وإنما نكتته شيء لفظي، وهو إيجاد المشاكلة بين الآيتين.

وهذا الجواب الأول لا أقبله، والصحيح هو الجواب الثاني، وهو ما أشرت إليه في الآية السابقة، وهو أن التأكيد يستعمل للإنكار أما القولي وإما العملي.

وعلى كل تقدير هذا الإنسان وهذا النوع كثيراً ما يتصرف ويكون سلوكه الخارجي على غير موازين الهداية، الله تبارك وتعالى أرشده، لكنه في مقام العمل لا يصغي إلى هذا الإرشاد، سواء أنكر ذلك باللفظ أم لم ينكر، فحينئذ المقام مقام إنكار، فناسب حينئذ أن تتصدر هذه الآية المباركة بأداة تأكيد.

المطلب الثاني: يرتبط بالهداية، وفيها عدة مباحث:

المبحث الأول: مبحث نحوي

إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم، بل والاستعمالات العرفية، نجد أنه في بعض الأحيان الهداية تكون من الأفعال المتعدية بواسطة حرف الجر، فتقول هديته إلى صراط مستقيم، فتعديها بـ إلى أو تقول هديته

للصراط، تعديها بـ اللام، وفي أحيان أخرى تكون متعدية بنفسها لا تحتاج إلى حرف جر ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيم﴾[1] تعدت بنفسها.

وكل هذه الاستعمالات المتعدية بنفسها والمتعدية بواسطة إلى والمتعدية بواسطة اللام، كله ورد في القرآن الكريم، هناك آيات وأمثلة لكل هذه الاستعمالات، فمثلاً: قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيم﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْن﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ﴾ في آية البحث، كلها تعدت بنفسها من دون حاجة إلى حرف جر.

بينما نلاحظ في قوله تعالى: ﴿وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراط﴾[4] فتعدى بـ إلى، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَع﴾[5] وقوله تعالى: ﴿الَّذي هَدانا لِهذا﴾ فتعدد بـ اللام، فهل هذه استعمالات تكشف عن تعدد الأساليب لمعنى واحد أم أن هذه الأساليب المختلفة تؤدي إلى اختلاف المعنى؟

واضح في اللغة العربية أن لفظ الهداية من الألفاظ المتعدية، ولكن ماذا نفعل بهذه الاستعمالات مع حروف الجر؟

هناك عنوان في الأدب العربي يطلقون عليه اسم التضمين، التضمين على نوعين: التضمين النحوي بمعنى تقدير لفظ قبل حرف الجر، يكون حرف الجر متعلقاً به. والتضمين البياني بمعنى الكلمة التي حقها أن تكون متعدية تستعملها بمعنى كلمة لازمة فتأخذ حرف جر.

لتقريب الفكرة، ففي كتاب مختصر المعاني في أول الكتاب، يقول: ورتبته على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، فكلمة رتب من الأفعال المتعدية لا تحتاج إلى جر، فتقول رتبت مكتبتي، رتبت أوراقي، فما معنى أن تقول رتبته بالتعدي بحرف الجر.

فإذا بنينا على التضمين النحوي فنقدر كلمة قبل على، تكون الكلمة مشتملاً، رتبته مشتملاً، ففي مقام الإعراب لا بد أن تعرب كلمة مشتملاً، فالمقدر كالموجود لابد أن تعربه.

---

[1] الفاتحة: 6
[2] الفاتحة: 6
[3] البلد: 10
[4] ص: 22
[5] يونس: 35

أما في التضمين البياني نفس كلمة رتب ضمنتها معنى الاشتمال، فصارت تأخذ حرف جر، ولا تحتاج إلى أن تقدر. هذا الترتيب يكون متضمناً لمعنى الاشتمال فاحتاج إلى حرف جر.

فيما نحن فيه، في الموارد الذي تتعدى الهداية بواسطة حرف جر نضّمن معنى الهداية الإرشاد، فكما تقول أرشدته إلى، فتقول هديته إلى، فكلمة الهداية تكون متضمنة لمعنى الإرشاد.

وفي الموارد التي تعدت الهداية بنفسها من دون حاجة إلى حرف جر، تكون الهداية بمعنى الإعلام، أعلمته وبينت له، فتكون الهداية توصل إلى المهدي بنفسها من دون حاجة إلى توسيط حرف جر. فيكون هناك نوع من التأكيد في عملية الهداية؛ لأن الهداية حينئذ تكون العلم، ولا يبعد أن يكون الأمر كذلك في الآية التي نبحث عنها؛ لأن الباري تبارك وتعالى في مقام بيان النعم التي أعطاها لهذا المخلوق بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً، وهذا المقام يناسبه إبراز النعم في غايتها العليا -كما سوف يتضح في البحث الثاني في الهداية-.

إذا على كل تقدير كلمة الهداية في اللغة العربية تارة تتعدى بنفسها وأخرى تتعد بواسطة حرف جر.

البحث الثاني: أنواع الهداية

النوع الأول: تكون عبارة عن إنارة الطريق، هداه أي بيّن له الطريق وأنار له الطريق. وهي ما يعبر عنها بالهداية الرحمانية.

النوع الثاني: تكون عبارة عن الإيصال إلى المطلوب، وهذا الذي يعبر عنه في بعض الآيات ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾[6] نوع من الهداية الخاصة من الرحمة الرحيمية، تأخذ بيده وتضعه على المطلوب.

وفي هذه الآية المباركة لا يمكن أن نحمل الهداية على الإيصال إلى المطلوب؛ بقرينة ﴿إِمَّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ لو كانت عبارة عن الإيصال إلى المطلوب كان شاكراً، لا إما شاكراً وإما كفوراً.

البحث الثالث: تقسيم آخر للهداية

---

[6] الأنبياء: 73

النوع الأول: هداية في داخل تكوين الإنسان وفي جبلته وكينونته، وهي الهداية الفطرية. وهذه الهداية الفطرية يشير إليها قوله وتعالى: ﴿ونَفْسٍ وَما سَوَّاها (7) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها﴾[7] هذه الهداية الفطرية الذي الإنسان بجبلته وبخلقته عندما سئل ألست بربكم؟ قالوا بلى.

النوع الثاني: هداية بشيء خارج عن الإنسان، وهذه أعم من أن تكون بالقول أو بالشواهد الخارجية. أما القول كما هو الحال في بعثة الأنبياء والرسل وتبليغ المبلغين ووعظ الواعظين، هذه نوع الهداية ومن إنارة الطريق بواسطة القول.

وأما تكون الهداية خارجة عن ذات الإنسان بواسطة الشواهد التي أودعها الخالق تبارك وتعالى في الآفاق، بل وفي أنفسنا أيضاً؛ لأنه بواسطة الأدوات التي خلقها لنا، وصار الإنسان سميعاً بصيراً، فيمكن أن يهتدي بواسطة الآيات الأنفسية والآفاقية.

عندما قالت الآية المباركة ﴿إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ﴾ هذا أعم من أن تكون الهداية هداية فطرية أو أن تكون الهداية هداية خارجة عن كينونته وجبلته؛ لأنها لم تحدد بنوع مخصوص.

ولا ينبغي أن يخفى علينا الفرق بين الهدايتين، الهداية الأولى باعتبار أنها هداية فطرية تمتاز بما يمتاز به الأمر الفطري، والأمر الفطري يمتاز بأمور ثلاثة:

أولاً: يكون عاماً، أمر الفطري الغريزي المجبول عليه الإنسان موجود في كل هذا النوع، بلا فرق بين صنف وآخر وبين فرد وآخر. الطفل بمجرد أن يخرج إلى هذه الحياة بغريزته وفطرته يستطيع أن يرضع الحليب من أمه من دون أن يعلمه على ذلك أحد، وهذا لا يختص بطفل آخر.

ثانياً: لا يحتاج إلى كسب وتعلم كما في المثال الذي ذكرته، وإلا ما كان مغروزاً في ذات الإنسان. نعم، قابل لأن يتطور، أما في اصله لا يحتاج إلى كسب وتعلم.

ثالثاً: سريع الزوال، المولود يولد على الفطرة أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[8]، الفطرة التي يكون عليها المولود بمجرد أن تؤثر به البيئة ورفقاء السوء ينسى أنه بفطرته قال بلى، فيزول.

---

[7] الشمس" 6 - 7

[8] رَوَى فُضَيْلُ بْنُ عُثْمَانَ الْأَعْوَرُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ[8] فَأَبَوَاهُ اللَّذَانِ يُهَوِّدَانِهِ وَ يُنَصِّرَانِهِ وَ يُمَجِّسَانِه ... . من لا يحضره الفقيه، ج2، ص: 49

وهذه الهداية الفطرية فيها هذه الخصائص العامة، فلم يقل هدينا نوع خاص أو صنف خاص من أصناف الإنسان، فهي عامة لكل البشر، ولا تحتاج إلى كسب وتعلم، وتتأثر بالعوامل الخارجية بسرعة، فتغطى، فيحتاج إلى ما يبرزها مرة ثانية.

بينما الهداية التي من النوع الثاني في كثير من الأحيان لا تكون عامة، بل للمبلغ له، تحتاج إلى إعمال نظر وتأمل وتدقيق، فالباري تبارك وتعالى برحمته الواسعة هيأ للإنسان كلا النوعين من الهداية.